إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ

(الانبياء:٩٢)

وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ

(المؤمنون:٥٢)

جامعة القاهرة
كلية الحقوق
قسم الشريعة الإسلامية

نظرية الإمامة في فقه الإمامية الإثنى عشرية

بالموازنة مع فقه الزيدية

رسالة أجيزت لنيل
درجة الدكتوراه فى الحقوق بمرتبة الامتياز
مع التوصية بطباعتها على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخري

من الباحث المستشار
محمد الدمرداش زكى العقالى
المستشار بمجلس الدولة

تحت إشراف السيد الأستاذ الدكتور

أنور محمود دبور

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق

جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى الهادي الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله المكرمين المطهرين ، وصحابته الغر الميامين ، وبعد ؛

فإن المطلع على أحوال المسلمين اليوم يجد أنهم متنازعون فيما بينهم فكرياً ومادياً ، دولاً وعقائد ، فرقاً وأحزابا ، وكل منكفئ على ما عنده ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، في حين أنهم مهزومون أمام غيرهم مادياً وفكرياً ، فهل من علاقة بين تنازعهم الداخلي وشتاتهم الخارجي ؟ لا ريب أن الجواب : نعم .

والقارئ لتاريخ المسلمين يجد أن أول خلاف شق وحدة المسلمين كان بشأن الإمامة بعد وفاة المصطفى ﷺ . فاجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة فقال بعضهم بوجوب استخلاف خليفة منهم ، وتوسط بعضهم وقال منا أمير ومنكم أمير ، ورشحوا رئيسهم سعد بن عبادة ﷺ، وعلى سند من دورهم في تشييد أركان دولة الإسلام ، ثم واجهت دعواهم حجة قسم كبير من المهاجرين الذين رأوا أنفسهم أول الناس إسلاماً وأوسط العرب أنساباً ولن تدين العرب إلا لهم بحسبانهم شجرة المصطفي وعلى سند من أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش ومالوا إلى تنصيب الصديق أبى بكر ﷺ ، ثم كان هناك بنو هاشم ونفر من المهاجرين والأنصار وذهبوا إلى أحقية على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى تبوء مسند الخلافة لكونه أقرب الناس للمصطفي ﷺ وألصقهم به . وأفضي الأمر بعد خلاف لم يطل وحجج سيقت من كل فريق إلى الخليفة الأول سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ.

ويقول أبو الحسن الأشعرى فى ذلك : (اختلف الناس بعد نبيهم فى أشياء كثيرة فصاروا فرقاً متباينين . إلا أن الإسلام يجمعهم ، وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم فى الإمامة) [1] . ويشير الشهرستانى إلى هذا الخلاف حول الإمامة فيقول : (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة ، إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان) [2] .

وإذا كان الخلاف حول الإمامة هو أول خلاف نشب بين المسلمين فقد كان فى حقيقته أول انشقاق عقائدي يضرب وحدة أمة الإسلام ويفرقها أحزاباً وشيعاً .

ولقد كان الشيعة أول من كتبوا فى الإمامة ومهدوا وهذبوا نظريتها فى كتابات علمية منظمة ؛ فبرز على بن إسماعيل بن ميثم التمار وهشام بن الحكم ومحمد بن النعمان وغيرهم ليصوغوا نظرية الإمامة ، وهذه النظرية تأسست أركانها فى ضوء الجدل الذي احتدم بين الشيعة وخصومهم من الخوارج والمعتزلة ، وفى الوقت الذي كان أهل السنة بمنأى عن هذا الجدل حول الإمامة ؛ ولذا فإن بحوث أهل السنة المتصلة بموضوع الإمامة العظمى جاءت متأخرة عن بحوث غيرهم من الفرق الإسلامية ، وكانت فى مجملها ردوداً على تساؤلات وشبهات أثارها الشيعة وغيرهم .

وقد افترقت الشيعة إلى فرق عدة وأحزاب شتي ، ولم يكتب البقاء إلى وقتنا هذا إلا لفرق ثلاث وهى : الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الملقبة بالجعفرية والشيعة الزيدية والشيعة الإسماعيلية ، ودراستنا ستكون مقصورة على الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والشيعة الزيدية .

---

(1) الأشعـــــري : مقالات الإسلاميين ج1 صـــ2 .

(2) الشهرستانـى : الملل والنحـــل ج1 صـــ21 .

والشيعة الاثنا عشرية هم أصحاب السبق فى بحث الإمامة ؛ إذ تقوم نظريتهم على الحق الإلهي لعلى فى الإمامة على سند من النص عليه من رسول الله ﷺ، وأن العدل الإلهي يكون بتنصيب الإمام من الله ، وهو لطف واجب على الله تعالى ، ممهدين لفكرة عصمة الإمام وعلمه .

وفى الجانب الآخر من التشيع يقف الزيدية كأقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة ، وتقوم نظريتهم - فى أغلب آراء فقهائهم - على أن النبي ﷺ لم يعين خليفتـه بالنص ، بل عرفه بالوصف ، وأن الأوصاف التى عرفت تجعل الإمام عليا رضى الله عنه وكرم وجهه ، وهو الإمام من بعده ، وخالفوا الإمامية الاثنى عشرية فى القول باللطف واعتقاد عصمة الأئمة والعلم المخصوص لهم .

وحملنى على أن أوجه نظري إلى نظرية الإمامة عند الإمامية الاثنى عشرية أنهم أصحاب السبق فى تشييد أركانها وأول من فتق الكلام فيها ، وكان اختياري أن يكون ذلك بالموازنة مع آراء الشيعة الزيدية بحسبان أن مذهب الزيدية أقل المذاهب الإسلامية حظاً من الدراسة والتصنيف ، خاصة لندرة المصادر اللازمة للبحث ؛ إذ إن أغلبها ما زال مخطوطـاً لم يطبع وجلها فى بلاد اليمن لم يكتب له الانتشار كحال الاثنى عشرية ، وقصدت بذلك إلقاء مزيد من الضوء على مذهب به كثير من الحلول الناجعة فى تهيئة أرضية مشتركة للتعايش بين المذاهب الإسلامية .

وآليت على نفسي أن أستقرئ آراء المذهبين وعقائد الفرقتين من كتب شيوخهم والباحثين والمحققين من علمائهم ، ليقيني أن رجال المذهب أشد معرفة لمذهبهم من معرفة الخصوم مهما بلغ أولئك الخصوم من العلم مبلغاً .

وفضلاً عن أن الأمانة العلمية التى هي دستور البحث العلمي السديد يلزمني أن أستقرئ عقائد القوم من مصادرهم ألاّ أقيم رأيا أو أنسب عقيدة لهم إلا بما سطرته أيديهم وأعتقده سوادهم ، لا ما

يقول به شذاذهم أو مخالفوهـم ؛ حتى لا أقع فى الالتباس الذي شاب كتابات البعض وأبحاثهم ، فنسبوا للقوم ما لم يقولوا ورموهم بما لم يعتقدوا وهذا ليس من العلم فى شئ .

الهدف من الدراسة وأهميتها :

لا يخفى على كل ذي عقل أن العقود الثلاثة الماضية شهدت حملات منظمة لتشويه التشيع والشيعة بمختلف فرقهم ، وأثمرت هذه الحملات عن اتساع الشقة بين السنة والشيعة وأصبح تكفير الشيعة ونسبة عقائد فاسدة لهم أمراً له من يروجه ، ورغم أن عالمنا الإسلامي قد شهد سابقاً ـ وتحديداً فى منتصف القرن الماضي ـ تجربة تستحق الوقوف أمامها طويلاً تمثلت فى إنشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية اضطلع بها نفر من كبار رجال الدين المصلحين والمفكرين من المذاهب الثلاثة ـ أهل السنة والجعفرية والزيدية ـ وانطلقت هذه الفكرة الخلاقة على أيدي هؤلاء العلماء الربانيين فى وقت كانت الكتب المشحونة بالطعن والتجريح تروج عند أبناء كل فريق حتى لو تكلمت عن طوائف وعقائد لا وجود لها على الإطلاق .

وكان أهل السنة والجماعة يتصورون الشيعة من الغلاة ، مع أن الشيعة تكفر الغلاة وتصدح بلعنتهم .

وفى المقابل كان الشيعة يتصورون أهل السنة من النواصب أي الذين يناصبون أهل بني المصطفي ﷺ العداء ، مع أن كل تابع للسنة يحب أهل البيت ويكرمهم غاية التكريم .

ومع كل ذلك وفى خضم هذا الجو الملئ بالتهم والافتراءات ، قام هؤلاء النفر الكرام من الذين لا يخافون فى الله لومة لائم بتكوين جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية تحت شعار { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } .

وكان فى صدارة هؤلاء النفر قمم شماء ، على رأسهم الشيخ الإمام عبد المجيد سليم ، والشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق ، والشيخ الإمام محمود شلتوت شيوخ الأزهر الشريف ، والإمام حسن إلبنا مؤسس ومرشد جماعة الإخوان المسلمين ، والشيخ الفقيه محمد أبو زهرة ، والشيخ المحقق محمد المدني ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي وغيرهم من علماء أهل السنة بأرض الكنانة ، وانضم إلى هذه الكوكبة من علماء الجعفرية مراجع كبار على رأسهم آية الله العظمي البروجردى المرجع الأعلى للشيعة آنذاك ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كبير مراجع النجف بالعراق ، والشيخ السيد عبد الحسين شرف الدين كبير مراجع شيعة لبنان ، والشيخ صدر الدين الصدر من مراجع قم بإيران ، وشاركهم جهادهم من أعلام الشيعة الزيدية الشيخ على المؤيد إمام الزيدية فى اليمن .

واتفقت هذه الكوكبة من الأعلام على مبدأ أساسي ، هو أن يلتف المسلمون جميعاً حول العقائد والأصول المتفق عليها ، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما وراء ذلك من أمور لا تكون شرطاً من شروط الإيمان ولا ركناً من أركان الدين ولا إنكاراً لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ويمارس الأزهر الشريف هذا التوجه المحمود فى التقريب ، فيقرر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنيّها وشيعيّها ضمن مناهج الدراسة بجامعة الأزهر ، كما تقرر فى صدد تكوين مجمع البحوث الإسلامية أن يكون أعضاؤه ممثلين لمختلف المذاهب الإسلامية .

ثم أصدر الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر الشريف فى 17 من ربيع الأول 1378 هـ فتواه الشهيرة بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية وأنه كسائر مذاهب أهل السنة .

وقد أفسدت السياسة وخلافاتها ـ أو كادت ـ ما أرسته الجهود المخلصة لعلماء الأمة فى منتصف القرن الماضي ؛ فأطلت علينا روح العصبية المقيتة وانتشرت دعاوى التكفير والتفسيق ، وكان الدافع لها والمحرك لاشعال جذوتها الحروب التى اندلعت فى المنطقة والتي أرادت قوى

الاستعمار والاستكبار العالمي أن تلبسها ثوب الفتنة المذهبية ، توطئة لإحداث شرخ فى أمتنا يمهد الطريق لانتهاب خيراتها ، وأفضي الخلاف المذهبي بالمسلمين إلى القطيعة واستبد الهوس المذهبي فيهم ببعض النفوس حتى استباح المسلم دم أخيه .

ولله الحمد والمنة أن عقولاً نيرة وقلوباً متصلة بالله ﷻ من علمائنا وفقهائنا فطنوا لهذا الأمر ، فأصبح همهم وديدنهم إخماد لهيب نار الفتنة ، صادحين بالحق أن المسلم هو من يعتقد بالله رباً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، ولا نبى ولا رسول بعده ، وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبلة ، وبالأركان الخمسة المعروفة ، وبالإيمان بالبعث والجزاء ، وأن مصادر الأحكام واحدة هي الكتاب والسنة المطهرة . مع التأكيد على أن الخلاف فى الإمامة لا ضير فيه على وحدة المسلمين ما دام خلافهم فى دائرته العقلية والاجتهادية المقبولة بعيداً عن أن يفضي إلى القطيعة والخروج على ما تقضي به الأخوة فى الدين . كما أن الأزهر الشريف بادر مع مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران بإعادة إحياء دار التقريب بالقاهرة والتي أحسب أنها إضافة هامة فى طريق وحدة أمة الإسلام .

ونظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية لها أهميتها العلمية والعملية ؛ فهذه النظرية انكب القوم قروناً عدة يصنفون فيها مصنفات شتى ، فأصبح لديهم ثراء فكري وتراث علمي قل نظيره ، وكذا اكتسبت النظرية بعداً وأهمية عملية بعد أن أرسيت دعائم أول دولة فى العصر الحديث تقوم على سند منها وأعني الجمهورية الإسلامية فى إيران ؛ فأصبحت نظرية الإمامة وولاية الفقيه واقعاً معاشاً يستحق النظر والتأمل طويلاً ، كما أن التشيع الزيدي شهد تطبيقاً على نحو ما لنظرية الإمامة وإن لم يضاهِ الثراء الفكري الذي نراه عند الاثنى عشرية .

وقد آثرت أن يكون بحثي فى نظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية بالموازنة مع آراء الشيعة الزيدية لعدة أمور أظهرهـا :

- أن الأبحاث التى تخصصت فى دراسة كل فرقة على حدة - خاصة الإثنا عشرية - أصبحت من الكثرة بمكان ، فى حين لم أجد - فيما أعلم - دراسة تخصصت فى نظرية الإمامة عند الفرقتين .

- أن نظرية الإمامة عند الفرقتين تحمل أحياناً ملامح شديدة التشابه بل التطابق ، وفى أحيان أخرى تتباعد الأفكار والآراء ، فآثرت أن أرصد هذه العلاقة بصورة توضح حقيقة اعتقاد كل فرقة بصدد الإمامة .

وما سطرته سلفاً أحاول أن أرسم به صورة لمنهج العمل فى هذا البحث ، والذي أدين لأستاذي الجليل والمشرف عليه ،الأستاذ الدكتور / أنــور محمود دبــور أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق - جامعة القاهرة بفضل تشجيعه لي على اختيار موضوعه ، وما أبداه لي من ملاحظات وتوجيهات انتفعت بها كثيراً . وكان توجيهه الأسمى لي أن يكون همي دوما البحث عما يجمع المسلمين لا ما يفرقهم ، وأن أقف على آراء كل فرقة من مصادرهم لا من آراء خصومهم ومنتقديهم و هو ما أتمنى أن أكون قد التزمته فى بحثي .

ثالثا : خطة البحث :-

اتبعت فى دراستي لنظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية والشيعة الزيدية منهجاً يرسم حقيقة النظرية عند الاثنى عشرية أصحاب السبق فى نظرية الإمامة ، ثم أتبع ذلك بالحال عند الشيعة الزيدية ، مع بيان أوجه الاتفاق والاختلاف ، وأهم الآثار المتعلقة بالعقيدة - التى أورثتها نظرية الإمامة لدى الفريقين .

وقد اقتضى المنهج العلمي أن أبين - قبل الخوض فى نظرية الإمامة - نشأة فرق الشيعة ، وذلك بإلقاء الضوء - بصورة موجزة – على تاريخها من حيث النشأة والتسمية .

وبناءً على ذلك فقد انقسم البحث إلى الأبواب والفصول الآتية :

الباب الأول : التعريف بالإمامة والتشيع وفرقه :-

وينقسم إلى فصلين :

الفصل الأول أفرد لمعنى الإمامة ومدلولها فى اللغة والاصطلاح والخلفية التاريخية للإمامة فى جزيرة العرب قبل الإسلام وحكم الإمامة من حيث الوجوب فى الفقه الإسلامي وألقاب الإمام فى مختلف عصور الإسلام .

الفصل الثانى عن نشأة التشيع والافتراضات التى قيلت فى شأنه ونشأة الشيعة لدى كتاب الفرق .

الباب الثانى : نظرية الإمامة :-

وينقسم هذا الباب إلى فصلين :

تناول الفصل الأول ماهية الإمامة عند الشيعة برافديها ، ومكانتها وعلى من تجب ، وأدلة الفريقين عندهما من القرآن الكريم والسنة النبوية .

ثم تناول الفصل الثانى كيفية تولية الإمام عند الاثنى عشرية والقول بنصب الإمام بالنص الإلهي أو ما تقول به الزيدية بالنص الخفي أو الجلى . ثم نتناول شروط الإمام العامة الواجب توافرها ثم الشروط الخاصة عند الشيعة الاثنى عشرية وأظهرها العصمة والعلم المخصوص ، وكذا الشروط الخاصة عند الشيعة الزيدية وأظهرها : أن يكون علوياً فاطمياً تتوافر له ملكة الاجتهاد ، ثم ننتقل للحديث عن عقيدة الشيعة فى معرفة أئمتهم وثمرتها ، ونعرف بالاثنى عشر إماماً وهم أئمة الشيعة الاثنى عشرية ، وكذا نورد تعريفاً لأبرز أئمة الزيدية . ثم نتناول نظرية ولاية الفقيه عند الاثنى عشرية بحسبانها أكثر نظريات الفقه الشيعي إثارة للجدل ، وتطورها بحسبانها التطور الطبيعي الذي آلت إليه نظرية الإمامة عند القوم ، وتطبيقها القائم فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

الباب الثالث : آثار نظرية الإمامة فيما يتعلق بالعقيدة :-

وينقسم بدوره إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم ونتتبع أصل هذه المقولة وتطورها .

الفصل الثانى :عقيدة التقية وأصلها وأدلتها عند الفريقين وحدود الاعتقاد بها .

الفصل الثالث : عقيدة الغيبة والاعتقاد بالمهدية .

الفصل الرابع : عقيدة الرجعة .

الفصل الخامس : الخمس من حيث أدلته وموارده ومصارفه .

الخاتمـــــة :

وقد بينت فيها النتائج التى خلصت إليها من الدراسة .

وقد عمدت دوما إلى الإشارة الموجزة لاعتقاد أهل السنة والجماعة حتى تكون الصورة أشمل وأشد وضوحاً دون أن أخرجها عن إطارها ، وبالقدر الذى يخدم الهدف الرئيس من دراستي والذي أصدر منه وهو أن المسلمين إذا تعارفوا تكاشفوا ، وإذ تكاشفوا تواصفوا علاج أدوائهم ، وظهر لهم أن ما يجمعهم ويلم شعثهم يفوق بكثير ما يفرقهم ويشتت شملهم ، وأن السبيل الحقيقي للتقريب بين مذاهب المسلمين هو أن يتعارفوا تعارفاً حقيقياً مبنياً على العلم والتوثيق بعيداً عن الظن والتكذيب والاتهام .

- وقد أخرت التعريف بالأعلام والأماكن الواردة فى البحث إلى قسم خاص فى آخر الرسالة ورتبتها ترتيباً أبجدياً يسهل على الباحث والقارئ الرجوع إليها .

- وربما عرجت إلى تعريف الأماكن تعريفاً سريعاً ضمن البحث إذا كان لذلك تعلق مباشر بالموضوع .

الباب الأول

التعريف بالإمامة والتشيع

نتناول هذا الباب على فصلين :

الأول : التعريف بالإمامــة وحكمها :-

ونتحدث فيها عن تعريفها اللغوي والاصطلاحي ، ونتناول أنظمة الحكم التى كانت سائدة فى جزيرة العرب قبيل بزوغ البعثة المحمدية فى اليمن والعراق والشام ، ثم نستعرض الحال فى مدن إقليم الحجاز : مكـة ويـثرب .

ثم ننتقل لبيان حكم الإمامة فى الفقه الإسلامي من واقع آراء كافة المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً .

وبعد ذلك نستعرض أهم الألقاب التى أطلقت على رأس الدولة الإسلامية عبر عصور التاريخ الإسلامي والسند الشرعي لكل لقب بدءاً من لقب الخليفة مروراً بلقب أمير المؤمنين إلى لقب الإمام .

وفى الفصل الثانى :- نعرف التشيع والشيعة فى اللغة والاصطلاح وننتقل بعدها لبيان نشأة التشيع وجذوره التاريخية ، والتي تعددت فيها الآراء وتباينت وقيل فى شأنها بفروض مختلفة . ثم نشير إلى فرق الشيعة الإمامية والزيدية وكذا فرق الشيعة الغلاة التى بادت مع مرور الأيام ، ونشير فى استعراض سريع يناسب المقام إلى ملابسات نشأتها التاريخية والظاهر من عقائدها ، وموقف الإمامية والزيدية من فرق الغلاة .

ونكون بذلك قد استوفينا البحث التاريخي فى الحدود التى يعوزها المقام و تحتاج إليها الدراســة الماثلة .

الـفصل الأول

التعريف بالإمامــة وحكمها

المبحث الأول :- الإمامة في اللغة والاصطلاح :

أولا - الإمـامـة لــغــة :

التقدم وتعنـى الانقـياد خلف إنسان . والإمامة مصدر من أم بمعنى تقدم ، تقول : أم القوم : أي تقدمهم و أممت الشيء ، أي قصدته ، ومنه قوله ﷺ :(وَلا آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً)(1) ، والإمام يعنى القدوة وهو كل من ائتم به قوم سواء كانوا على الخطأ أو الصواب . ويقول ابن منظور : الإمام كل من ائتم به قوم . وسيدنا رسول الله ﷺ إمام أمته (2) ، وإمام كل شئ قيّمه والمصلح له ، و الإمام يعنى المثال ويعنى المقصود ، كما يعنى الخيط الذي يمد على البناء ويسوى عليه (وذلك بغرض إدراك استقامة البناء) ، كما يعنى أيضا الحادي أمام الإبل لأنه الهادي لها . (3) ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذه الألفاظ عند أصحاب اللغة .

وقد وردت كلمات (إمام وإمامـا وإمـامهم وأئـمة) فى القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة على النحو الآتي :

١) (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) 4

٢) (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) 5

٣) (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً) 6

٤) (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَة)7

5) (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)8

6) (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما ً)9

---

1 -المائـــدة : الآية 2
2 -ابن منظور : لسان العرب ج14 صـ 287
3- فيصل نور : الإمامة والنص ، صـ 27
4 -الحجر : الآية 79
5- يس : الآية 12
6 -هود : الآية 17
7- الأحقاف : الآية 12
8- الإسراء : الآية 71
9- الفرقان : الآية 74

7) (قَال إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَال وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَال لا يَنَال عَهْدِي الظَّالمِين) 1

8) (جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)2

9) (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ) 3

10) (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ) 4

11) (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) 5

12) (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ) 6

وتدل هذه الكلمات (إمـام و إماما و إمـامهم و أئمة) على عدة معانٍ مثل : اللوح المحفوظ ، أو الكتاب السماوي ، أو الطريق الواضح ، أو قادة الهداية ، أو قادة الضلال .

ثانيا : الإمــامة في الاصطلاح :

افترق أهل السنة والجماعة عن الشيعة في تعريفهم لمصطلح الإمامة ، وهذا الاختلاف أمر لابد منه إزاء اختلافهم في تحديد مكانة الإمامة من حيث كونها أصلاً من أصول الدين كما تذهب بعض فرق الشيعة ، أو إخراجها من أصول الدين كما يذهب أهل السنة والجماعة .

ففي تعريف الإمامة عند أهل السنة ، يقول الماوردى في " الأحكام السلطانية ": (إن الإمامة موضوع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) (7) ، ويعرفها التفتازانى بأنها : (رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ) ، ويقول الإيجى : (إن الإمامة خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الله حيث يجب اتباعه على الأمة كافة) . (8)

ويقول عنها إمام الحرمين أبو المعالي عبد المل ك لله الجوينى وهو من أبرز أئمة الأشعرية :(الإمامة رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة ، من مهمات الدين والدنيا ، مهمتها حفظ الحوزة ، ورعاية الرعية ، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف ، وكف الخيف والحيف ، والانتصاف للمظلومين من

.....

1- البقرة الآية : 124 2- الأنبياء الآية : 73 3- القصص الآية : 5

4- السجدة الآية : 24 5- التوبة الآية : 12 6- القصص الآية : 41

7- أبو الحسن الماوردى : الأحكام السلطانية ، صـ4

8- أ. د/ مصطفى غالب : الإمامة وقائم القيامة ، صـ 25

من الظالمين ، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين) . (1)

ويعرفها عبد الله بن عمر البيضاوى بأنها : (خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله ﷺ فى إقامته القوانين الشرعية وحفظ حوزة الملة) . (2)

ويقول عنها عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته : (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلي اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به). (3)

ويصفها الشيخ عبد السلا م اللقانى في شرح " الجوهرة في التوحيد " الذي ألفه أبوه بأنها (رياسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ) . (4)

وأذهب إلى أن المختار من هذه التعريفات ما ذكره ابن خلدون ؛ لأنه الجامع المانع فى نظري ، وبيان ذلك أنه فى قوله [حمل الكافة] يخرج به ولايات الأمراء والقضاة وغيرهم ، لأن لكل منهم حدوده الخاصة به وصلاحياته المقيدة ، وفى قوله : [على مقتضى النظر الشرعي] قيد لسلطته ، فالإمام يجب أن تكون سلطته مقيدة بموافقة الشريعة الإسلامية ، وفى قوله : [في مصالحهم الأخروية والدنيوية] تبين شمول مسئولية الإمام لمصالح الدين والدنيا لا الاقتصار علي واحدة دون الأخرى .

والإمامة والخلافة يتناولهما أهل السنة كمترادفين يدلان على أمر واحد لا فرق بينهما ؛ فالخلافة بمنزلة الإمامة ، والخليفة إمام ، كما أن الإمام خليفة . فالإمامة أو الخلافة هي النظام الذي جعله الإسلام أساسا للحكم بين الناس بهدف اختيار الأصلح من المسلمين – قدر الطاقة - لتجتمع حوله كلمة الأمة ، وتتحد به صفوفها وتقام به أحكام الشريعة .

كان هذا مفهوم الإمامة لدى أهل السنة ، ونبين فيما يلي كيف تناولها الشيعة الإمامية و الزيدية .

بداية لابد من الإشارة إلى أن علم الإمامة والبحث فيه ومصطلحاته ومسائله قد حددها الشيعة وسبقوا

1- أبو المعالي عبد الملك الجويني : غياث الأمم في التياث الظلم صـ 23
2- الدكتور/ محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت ، ج1 صـ 28 ،
3- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة صـ 191
4- د/ محمد عمارة : معركة الإسلام و أصول الحكم صـ 60